جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
ماجستير تأريخ اسلامي(تخصصي)

مادة

النظم الاداري في الدولة العربية الاسلامية

المحاضرة الخامسة

الخلافـة الفاطمية في المغرب

والخلافة الامويـة في الاندلس

الأستاذ الدكتوره

رغـــد عبـد النبـي جعفـر

٢٠٢٤- ٢٠٢٥

الخلافة عند العبيديين أو الفاطميين والخلافة الأموية في الأندلس

قامت الخلافة العبيدية أو الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م على أثر دعاية سرية واسعة النطاق قام بها داعيتهم **أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا (ت ٢٩٨هـ/ ٩١١م)** وانتهت بتولية الخليفة الفاطمي الأول **عبيد الله المهدي**، ولأشك أن دعوة العلويين الأدارسة، رغم أنها لا تدين بالمذهب الإسماعيلي الشيعي، مذهب الدولة الفاطمية إلا أنها مهدت السبيل لدعاة الفاطميين في المغرب، وهيأت الأذهان بقبول دعوتهم لآل البيت.

واستطاعت الدولة الفاطمية بفضل تأييد بعض القبائل المغربية، أن تقضي على نفوذ، دولة الأغالبة وكذلك دولة الرستميين ودولة المدراريين بل وحتى على دولة الأدارسة، وأن تحقق وحدة مغربية قاعدتها **مدينة المهدية** في أفريقية نسبة إلى المهدي الذي بناها.

والخلافة الفاطمية خلافة دينية وراثية تقوم على أساس المذهب الشيعي الأسماعيلي وتستند إلى أساسيين هامين.

<u>الأساس الأول:</u> هو العلم الإلهي الموروث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين، والحالة هذه يكون الإمام الفاطمي هو المشرع وهو المنفذ، وهو معصوم من الخطأ نتيجة لما ورثه من علوم لدينه عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم والعلوم عندهم نوعان:

١. **علم الظاهر.**

٢. **علم الباطن.**

أي ظاهر القرآن وباطنه، وقد علم النبي محمد صلى الله عليه وسلم الإمام عليا كرم الله وجهه هذين النوعين من العلوم، فأطلق سيدنا علي كرم الله وجهه خفايا الكون والسر المكنون من هذه العلوم، وكل إمام ورث هذه الثروة العلمية لمن جاء من بعده، ولهذا كان الإمام معلماً أكبر.

أما الأساس الثاني للإمامة الفاطمية: فهو مسألة الوصية أو النص على ولاية العهد، والمعروف في ذلك أن الخلافة الفاطمية ترى كما يرى الشيعة عموماً أن علياً كرم الله وجهه يستحق الخلافة بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا عن طريق الكفاية وحدها (أي سلامة الرأي)، بل عن طريق النص عليه بالاسم ، فالإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، وإنما هي ركن من أركان الدين ولا يمكن للنبي أن يتركها للأمة، بل كان عليه تعيين إمام لهم معصوماً من الخطأ، وأن علياً هو الذي عينه النبي صلى الله عليه وسلم إماماً بعده، والدليل على ذلك كما يرون وصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عقب حجة الوداع، وفي مكان يسمى **بغدير خُم** بين مكة والمدينة المنورة حيث قال صلى الله عليه وسلم "**ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى، قال : كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه**" قوله صلى الله عليه وسلم : "**علي مني بمنزلة هارون من موسى**"، ومن هنا نشأت فكرة الوصية ، ولقب الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه بالوصي، بينما لقب من جاء بعده بالأئمة، ومرتبة الوصاية أعلا من مرتبة الإمامة، وتلى مرتبة النبوة ثم انتشرت الوصية بين الشيعة عامة والفاطميين خاصة فقالوا إن الإمامة تنتقل من الآباء إلى الأبناء ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين، فالأب ينص على ابنه في حياته، ولا يقوم النص في الإمامة على أساس تولية الابن الأكبر، فالإمام يستطيع أن ينص على أي ابن له، فهذا أمر يخصه وحده لأنه يتلقى عمله ووصيه من الله عز وجل.

الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦هـ ٤٢٢) (٩٢٨-١٠٣٠م)

وهي خلافة قامت متأخرة بالأندلس، وذلك في زمن **عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله** وذلك في سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) ونتيجة لظروف خاصة أحاطت بالأندلس في ذلك الوقت، تأخر ذلك التاريخ، فقد مرت الأندلس في دورين أساسيين:

الدور الأول: يمتد من سنة (٩٢هـ إلى ١٣٨هـ / ٧١١م-٧٥٦م) أي منذ أن فتح المسلمين بلاد الأندلس، إلى قيام الدولة الأموية فيها، وفيه كانت الأندلس إمارة غير مستقلة وغير وراثية وتتبع الخلافة الأموية بدمشق ويحكمها والي يصرف بالأمير.

أما الدور الثاني: فيبدأ من سنة (١٣٨هـ/٣١٦هـ، ٧٥٦م/٩٢٨م) أي منذ مجيء الأمير عبد الرحمن الداخل، والذي لقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م

وينتهي بإعلان عبد الرحمن الثالث نفسه أميراً للمؤمنين وتلقيه بالناصر لدين الله وذلك سنة ٣١٦هـ، وفي هذا الدور كانت الأندلس إمارة وراثية مستقلة سياسياً عن خلافة المشرقي الإسلامي أي الخلافة العباسية، أما من الناحية الروحية فيفهم من كلام بعض المؤرخين أن أمراء بني أمية الذين حكموا الأندلس قبل عبد الرحمن الناصر، دعوا في خطبهم الدينية للخلفاء العباسيين في بغداد، رغم العداء السياسي الذي كان قائم بين الدولتين، غير أن هذه الراوية في الواقع لم يقم عليها دليل أو جماع تاريخي، أما ثقاة مؤرخي الأندلس فقد حددوا مدة الدعاء لبني العباسي بفترة قصيرة في بداية عهد عبد الرحمن الداخل ثم قطع الدعاء لهم بعد ذلك.

فالفقيه أبو محمد بن حزم القرطبي ت ٤٥٦هـ في كتابه "نقط العروس"، جاء فيه أن الدعوة للعباسيين استمرت عدة سنوات ثم قطعها عبد الرحمن الداخل، وفي نفس الاتجاه بقول المؤرخ البلنسي ابن الأبار توفي سنة ٦٥٨هـ في كتابه الحلة السيراء إن عبد الرحمن الداخل أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور العباسي ثم قطع الدعاء له بعد ذلك، أما المؤرخ المقري التلمساني توفي سنة (١٠٤١هـ) فقد أورد لنا في كتابه (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، رواية طريفة يبين فيها الظروف والملابسات التي تم فيها انقطاع هذه الدعوة التي كانت لبني العباس في بغداد فيقول "وفر من الشام الأمير عبد الملك بن عمر بن مروان الأموي، خوفاً من الموّدة (وهنا يقصد العباسيين) فمر بمصر ومضى إلى الأندلس وقد غلب عليها الأمير عبد الرحمن بن معاوية والذي لقب بالداخل، فأكرمه وولاه إشبيلية، لأنه كان قُعْدد بني أمية (ويقصد به القريب النسب من الجد الأعلى) ثم إنه لما وجد الداخل يدعو لأبي جعفر المنصور العباسي، أشار عليه بقطع اسمه من الخطبة وذكره بسوء صنيع بني العباس ببني أمية، فتوقف عبد الرحمن في ذلك، فما زال به عبد الملك حتى قطع الدعاء له ، وذلك أنه قال له حين امتنع من ذلك: إن لم تقطع الخطبة لهم قتلت نفسي، فقطع حينئذ عبد الرحمن الخطيبة للمنصور بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر.

ومن هذه النصوص السابقة يبدو لنا ما يتعلق بدعاء بني أمية في قرطبة للخلفاء العباسيين في بغداد أمر مبالغ فيه، وأن هذه الدعوة لم تدوم أكثر من فترة قصيرة في بداية عهد عبد الرحمن الداخل ثم قطعت بعد ذلك نهائياً، على أنه يلاحظ أن أمراء بني أمية والذين حكموا قبل عبد الرحمن الناصر وإن كانوا قد قطعوا الدعاء لبني العباس إلا أنهم لم يلقبوا أنفسهم بلقب خليفة، واكتفوا بتلقيب أنفسهم بأبناء الخلائف، وفي هذا فرق كبير بين خليفة وابن خليفة في واقع الحال، ومما لا شك فيه أن السبب في ذلك هو شعورهم بأن الخلافة في الدولة العربية الإسلامية

وحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وإن الخروج عنها عصيان وأن الخليفة الشرعي هو حامي حمى الحرمين الشريفين إلى المسيطر على بلاد العرب والحجاز منها بشكل خاص أصل العرب والأمة والدين ومركز العصبية.

هذا هو الأصل النظري للخلافة، غير أن مصلحة العمل ومقتضيات السياسة، وتغيرات الظروف فيما بعد، حتمت الخروج عن ذلك الأصل النظري ووضعه محل الاجتهاد، ثم أجاز الفقهاء في دولة الخلافة سواء في بغداد أو الأندلس تعدد الخلافة ما دامت هناك مصلحة تقضي بذلك، واعترفوا بشرعية إمامين يتوليان الخلافة في آن واحد على شرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ومساحة واسعة لمنع الاصطدام والفتنة بين المسلمين، وقد يؤيد ذلك ما رواه صاحب الحلل الموشية من أن الأندلسيين أنفسهم هم الذين بايعوا وحملوا الأمير عبد الرحمن بن محمد (الثالث) على حمل هذين اللقبين : أمير المؤمنين والناصر لدين الله، وصاروا يخاطبونه باسم الخليفة قبل إعلانه رسمياً.

وهكذا نرى مما تقدم أن نظرية أو نظام الخلافة والذي يتبع الكتاب والسنة في جانبها الفلسفي في النظر إلى نظام الخلافة ونظرية العمل ضمن هذا النظام أي طريقة تطوره، فقد تكيفت تكييفاً جديداً تبعاً للواقع وللضرورة السياسية، والنظريات الناجحة دائماً تتبع الواقع وتتأثر به، وعلى أساس هذا المفهوم الجديد للخلافة، أعلن الأمير الأموي عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة للمسلمين في الأندلس وذلك سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، ولا شك أنه كان مدفوعاً في ذلك بمصالح وعوامل مختلفة في الداخل والخارج معاً ومن أهمها:-

١. **قيام خلافة فتية معادية في بلاد المغرب وهي الخلافة الفاطمية والتي كانت ترنوا إلى الأندلس بعين لا تخلوا من الطمع.**
٢. **كسر الحاجز النفسي للقب خليفة بالنسبة للخلفاء الأمويين في الأندلس بالنظر لوحدة الخلافة الإسلامية بعد أن أعلن الفاطميون خلافتهم في المغرب الإسلامي.**
٣. **ضعف الخلافة العباسية في المشرق أيام الخليفة المقتدر، واستبداد القواد من المماليك الأتراك بالخلافة وعدم قدرتها وعجزها عن حماية العالم الإسلامي والمسلمين.**
٤. **الاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن يكون خليفة للمسلمين.**

وهكذا تحولت الأندلس منذ سنة ٣١٦هـ من إمارة إلى خلافة، واستمر لقب خليفة في ذرية عبد الرحمن الناصر من بعده حتى سقوط الدولة الأموية وذلك سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م)

ويلاحظ أن نظام الخلافة الأموية في الأندلس، كان نظاماً ملكياً "يقوم على أساس التوريث، إلا أنه في الوقت نفسه كان يتسم بالبساطة وعدم التعقيد، فالخليفة عادي قد يخطئ وقد يعيب والناس أحرار في نقده وإن استطاعوا عزله عزلوه، ومن أمثلة هذه الروح الديمقراطية التي امتازت بها الخلافة الأموية في الأندلس أن الخليفة عبد الرحمن الناصر حينما بنى مدينة الزهراء في شمال غرب قرطبة وصرف عليها جزءاً كبيراً من وقته ومن مال الدولة، قامت ضده معارضة شديدة تزعمها قاضي قرطبة **المنذر بن سعيد البلوطي** الذي أخذ ينتقد الخليفة في المسجد أيام الجمعة، وقد أثارت هذه المعارضة والنقد غضب الخليفة عبد الرحمن الناصر، ويؤشر عنه أنه قال في هذا الموضوع "**والله لقد تعمدني منذر بخطبته ، وما عني بها غيري ، فأسرف عليّ وأفرط في تقريعي وتفزيعي، ولم يحسن السياسة في وعظي، فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني** " ثم أقسم بألا يصلي خلفه صلاة الجمعة أبداً، ولكنه لم يستطيع إيذاءه أو عزله.

ومن حسن الحظ أن وثيقة إعلان الخلافة الأموية في الأندلس والتي وزعها الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله على عماله بهذا الشأن، محفوظة في كتب بعض المؤرخين مثل كتاب البيان المغرب لابن عذاري وكتاب الحلل الموشية، ويلاحظ فيها البساطة في العرض والطلب، فهي أشبه بعقد بين الحاكم والمحكوم.

المصادر :

١-ابن الابار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السيراء ، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، سنة(١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)

٢-ابن حزم الاندلسي(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تح: احسان عباس ، دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان ، د .ت

٣-ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي(ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م) ، البيان المغُرب في اخبار المغرب ، مكتبة صادر ، بيروت، سنة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)

٤-المقدسي، أبو عبد الله محمد البشاري(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، سنة(١٤١١هـ/١٩٩١م)

٥-المقري ،أبو العباس شهاب الدين احمد(ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، مط بولاق ، مصر ، سنة(١٢٧٩هـ/١٨٦٢م)

٦-مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تح : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط ١ ، الدار البيضاء ، سنة(١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)